

الدكتور كامل مرقص : مخزون علمي انبثق من رحم المعاناة والتجارب



أين هي المكتبات التي تضح بالآلاف الكتب من دائرة الضوء لعدسات الكاميرات وحملة الأقلام والصحافيين والرائجين والمروجين في الإعلام؟ أين هي الكتب الفكرية والثقافية والذاتية من وهج الأضواء المحترقة لصالح القشور، بعيداً عن تجارب الناس وخبراتهم ونضالهم الجدير بالإكبار؟ كثيرة هي الأسئلة التي تطارد علامات الاستفهام في رأسي لحظة دخلت إحدى المكتبات وصادفت آلاف الكتب الرائدة تأخذ أمكنتها بوقار جليل على رفوف لا تبحث إلا على يد تلمسها وعين تقرأها وقلب يفهمها وعقل يديرها ويدبرها ويتفكر في أحوالها دون تردد أو إغفال.

بهذه الروحية أمسكت كتاب الدكتور كامل مرقص لأتصفح «سيرة في مسيرة»، محاولة الغوص في أعماق رجل نضجت صفحاته من على صاج متقد من جمر الحياة ونضال السنوات الطويلة.

Sinyé التي تحمل دورها الاجتماعي وتعي أهميته الفاعلة بين الناس، آثرت أن تلقي الضوء على هذا المخزون القيم، الذي حمل في طياته أمثالاً وحكماً من واقع الحياة وصميم التجربة وخلاصتها.

«الحياة لأصحاب الإرادة والطموح، الحياة لمحبي الوطن وشعبه، الحياة للذين أحبوا فأعطوا»

إحدى الحكم الكثيرة والبليغة التي دونها الدكتور كامل مرقص بعد مسيرة طويلة من الكفاح العلمي والنضال العملي ومعايشة تجارب الحياة...

أن يعمل الإنسان ما يحب هذا يعني أنه يتذوق السعادة والمتعة فيما يعمل، فيغدو العمل هوايته الكبرى وتتحوّل العراقيل إلى تحدّ وفرص للترقي والانتصار، «فالنجاح» والمخاطرة» عنوانان يلازمان درب أصحاب الجرأة التواقين إلى قطف ثمار زرعهم على الرغم من الأشواك والمصاعب. وكما أنه لكلّ نتيجة سبباً كذلك النجاح، فهو لم يكن يوماً وليد الصدفة بل

عصارة عوامل متنوعة ممزوجة بالجهد والتعب وأحياناً الألم. ومما لا شك فيه أن الإرادة تأتي في مقدمة تلك العوامل، وقد تكون أهمها على الإطلاق. فهي الأداة التي تُخرج الهدف من طور الحلم والأمنيات لتعطيه بعداً عملياً وواقعياً... ولعل أبهى صور الإرادة يجسدها بنوع خاص أولئك الذين عايشوا الضيق وواجهوا المشقات على اختلاف أشكالها خلال مسيرة تحقيق ذاتهم. فمنهم عانى حرمان العائلة، ومنهم عانى الحواجز الاجتماعية، إلا أنّ جلّهم عانى من العوائق المادية التي غالباً ما ضيّقت الخناق على أحلامهم. غير أنّ تلك العوامل على قسوتها، لم تمنع الكثيرين من مواجهتها بإرادتهم الصلبة المدعّمة برياسة الجأش، واقتحام صروح النجاح... وهؤلاء حفظوا أمانة أسلافهم ممن سبقوهم في الوصول إلى تلك الصروح، كما سينرون درب من يتابع المسيرة من بعدهم.

أحد هؤلاء الأمناء على مسيرة الكفاح العلمي والنضال العملي الدكتور كامل مرقص الذي أنجبته أرض الجنوب الخيرة، صاحب الإرادة الجبارة التي استمدّها منها... وعلى هذا الأساس لم تردعه الظروف الصعبة من المواظبة على تحصيل التعليم العالي وتحقيق ما يتمناه، فهو قد أدرك أنّ تحقيق النجاح أو

الفشل يتوقّف على ضرورة المفاضلة بينهما والتي لا بدّ من اختيار واحد لا غير ودائماً إما النجاح أو الفشل.

وبالرغم من الضائقة المادية التي كبّلت عائلته في فترة دراسته الثانوية، تمكّن من كسر قيود الاستسلام وانصرف إلى العمل حينها، وتقلّبت حياته من طالب ثانوي إلى معلم في مدرسة خاصة، ثمّ إلى نجار، ثمّ إلى عامل في دكان للبقاله وصولاً إلى تاجر بالصدفة. إلاّ أنه لم ينقطع يوماً عن المطالعة وإن ألزمته ظروفه القاهرة الانقطاع عن تحصيله العلمي. وما إن انتهى من وطأة الديون حتى تقدّم إلى التوجيهية المصرية التي تعادل شهادتها البكالوريا قسم ثان، وحقق نجاحه بتفوق.

وظلّ توفقه إلى المعرفة دافعه الأكبر لتوسيع مداركه الجامعية فهاجر إلى «براغ» عاصمة تشيكوسلوفاكيا سابقاً للالتحاق بجامعة الهندسة المدنية. وكالعادة استطاع تحقيق نتائج مشرّفة في الامتحانات النهائية. تفوّقه المعتاد، وصفاته الأخلاقية الحميدة، وحياده إزاء المواقف السياسية للطلاب اللبنانيين التي كانت صدى للتناقضات اللبنانية الداخلية في العام ١٩٧٥ خولته للانتخاب رئيساً لرابطة الطلاب اللبنانيين في تشيكوسلوفاكيا وهو مركز ذات بُعد اجتماعي وطلابي، تمكّن من خلاله

توفير المنح الطلابية لكثير من اللبنانيين... عام ١٩٧٧ حاز على الدبلوم الأحمر الذي يؤهله لمتابعة الدكتوراه. وهكذا استمر في الترقية السريعة على سلم حياته الأكاديمية فقد تمّ اعتماده في تشيكوسلوفاكية كمبرمج محلّف للغات العربية والتشيكية والفرنسية، ومن ثمّ تعيينه مدرّساً معيداً في الجامعة نفسها.

عام ١٩٨١ بلغ القمة في دراسته حين أنهى مناقشة أطروحته ونال الدكتوراه، وبذلك يكون قد وصل إلى حيث عاهد به نفسه ومحيطه، مُسدلاً الستار على حقبة مصيرية من حياته بعد أن غدت دافعاً قوياً لبناء مستقبله وبناء أسرته الجديدة.

في هذه الفترة بدأ يُخطط ويرسم صورة للاستقرار ولعالم الأعمال. وبعد أن أمضى عشر سنوات في تشيكوسلوفاكيا عاد إلى لبنان الذي كانت تتناوشه براثن الحرب الأهلية وبدأ العمل كأستاذ في كلية الهندسة في الجامعة اللبنانية. عام ١٩٨٢ انضمّ إلى شركة «أوجيه» إحدى أكبر شركات البناء والمقاولات، لكن مع تآزم الوضع الاقتصادي اضطرت هذه الشركة إلى تقليص نشاطها في بيروت فانصرف إلى مهنة التدريس والعمل كمستشار خاص لدى بعض الشركات الأخرى.

إبان الحرب الأهلية أصبح من الصعب التأقلم مع ظروف الحياة في لبنان فعادت فكرة السفر تراوده بعد أن شكّلت الخيار الأكثر أماناً له ولعائلته الصغيرة، في تلك الفترة كانت دولة الإمارات العربية المتحدة قد بدأت تتطور فقصدها وعمل كشريك لأحد أصحاب مكاتب الاستشارات الهندسية وبرهن عن جدارة ملفته في عملية الإدارة والتغلب على الصعاب والمعوقات، وهكذا بات أكثر قدرة على توسيع هامش أعماله والاندماج ضمن المجتمع الإماراتي. عام ١٩٨٩ افتتح مكتبه الخاص للاستشارات الهندسية في إمارة رأس الخيمة فكان «دلتا للهندسة». لاحقاً انتقل إلى إمارة دبي وعمل في قطاع الهندسة الداخلية-هندسة الديكور، وجّهز محلات تجارية fittings shop في دولة الإمارات العربية المتحدة مما شكّل له هذا العمل جسراً العبور من عالم الهندسة إلى عالم الأعمال. في العام ١٩٩٠ أنشأ شركة رائدة في عالم الديكور تحت اسم «رتوش» التي تمثّل مجموعة أعمال الدكتور مرقص على امتداد الإمارات وقد تمكّنت من فرض نفسها في السوق محققة نتائج فاقت التوقعات نظراً لاستقطابها الخبرات الهندسية من مختلف الجنسيات، وهي تضمّ اليوم في فروعها ما يزيد عن ال ٢١٠ من الموظفين...

بعد فترة انقطاع قصري دامت عشرين سنة، عاد الدكتور مرقص عام ٢٠٠٠ إلى بلده دير ميماس التي كانت قد تحررت من الاحتلال الإسرائيلي، فصهق لما خلفه هذا الاحتلال من دمار. وانطلاقاً من حكمة «أن تضيء شمعة خير



من أن تلعن الظلام» باشر بعملية إصلاح واسعة نتيجة غياب العمل البلدي حينذاك. وفي العام ٢٠٠٤ خاض معركة الانتخابات البلدية إيماناً منه أنّ الإدارة والخبرة والمثابرة التي يتمتع بها سوف تُسهم في نهضة بلده، وأسفرت النتيجة بنجاحه وبقاء أهل الوفاء أبناء دير ميماس على عهدهم.

عشقه لموطنه دير ميماس يجري في عروقه مجرى الدم، هذا ما يردده دائماً وما نلاحظه حينما نلتقيه في أي مكان منها متنقلاً بين أحيائها وتحت شجراتها متلمساً معالمها بحنان، ذلك الحنين الذي يتنامى باضطراب مع توليه مهام البلدية لذا قرر تسخير كل إمكاناته المهنية والمادية في سبيل ديمومة خصوصية قريته الوادعة وخدمة أبنائها الأبرار. فأسس ناد للمسنين وناد للإنترنت وأصدر فيلماً وثائقياً عن «دير ميماس» بالإضافة لموقع على الإنترنت الذي يمثل مرآة شفافة لورشة أعمال البلدية. بعد مرور خمس سنوات على توليه الرئاسة غدت بلده «عروساً للجنوب» كما أصبحت القرية النموذجية على امتداد مساحة الوطن فغناها لا يظهر بمنازلها ولا بممتلكات أهلها الراقية والمترفة معاً، وإنما بحبهم لأرضهم ومحافظتهم على روحها البسيطة الممزوجة بعنفوان أهل القرية واعتزازهم الكبير.

هذا الشوق للتعويض عن سنوات الاغتراب دفعه لتوظيف نجاحاته لبناء بلدية ناشطة قادرة على تنمية البلدة وتخليد اسمها في سجل التاريخ وقلوب الأجيال القادمة.

إعداد ليندا زين الدين

السيرة الذاتية

مواليد دير ميماس ١٩٤٧
استاذ مساعد في الجامعة اللبنانية-
كلية الهندسة ١٩٨٨
دكتوراه دولة في الهندسة المدنية-
جامعة براغ بوليتكنيك ١٩٨١
ماجستير هندسة مدنية- جامعة براغ
بوليتكنيك ١٩٧٧

الانجازات المهنية

صاحب ومدير مجموعة شركات
«رتوش» في دبي ١٩٩١ حتى تاريخه
صاحب ومدير دلتا للهندسة
١٩٨٨-١٩٩١ الإمارات
دكتور محاضر في كلية الهندسة-
الجامعة اللبنانية ١٩٨١-١٩٨٨
معيد في كلية الهندسة- جامعة براغ
بوليتكنيك ١٩٧٧-١٩٨١

الانجازات الاجتماعية والإنمائية

رئيس بلدية دير ميماس- مرجعيون
٢٠٠٤ حتى تاريخه
عضو الهيئة الإدارية- مجلس العمل
اللبناني- دبي ٢٠٠٢ حتى تاريخه
رئيس جمعية خريجي الجمهورية
التشيكية والسلوفاكية في لبنان ٢٠٠٦
حتى تاريخه
عضو لجنة كاريتاس في الإمارات
العربية المتحدة ٢٠٠٧ حتى تاريخه
عضو غرفة التجارة التشيكية العربية
٢٠٠٢ حتى تاريخه
عضو غرفة التجارة الإيطالية-
الإماراتية ٢٠٠٢ حتى تاريخه
عضو في نقابة المهندسين- لبنان
١٩٧٧ حتى تاريخه
رئيس رابطة الطلاب اللبنانيين في
تشيكوسلوفاكية ١٩٧٥-١٩٧٦

الشهادات التقديرية

اليونيفل- لبنان
كاريتاس لبنان
نقابة أطباء الأسنان
جمعية خريجي تشيكيا وسلوفاكيا في
لبنان
مجلس بلدية لانسينغ ميتشيغن.